الجزء التاسع والعشرون — سورة الملك

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء ٢٩ الحزب ٥٧

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ١ الذى خلق
الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ٢
الذى خلق سبع سموت طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من
تفوت فارجع البصر هل ترى من فطور ٣ ثم ارجع البصر كرتين
ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ٤ ولقد زينا السماء
الدنيا بمصبيح وجعلنها رجوما للشيطين وأعتدنا لهم عذاب
السعير ٥ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير
٦ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور ٧ تكاد تميز
من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ٨
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم
إلا فى ضلل كبير ٩ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحب
السعير ١٠ فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحب السعير ١١
إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ١٢

٥٦٢

معانى الكلمات :

تبارك : تكاثر خيره .

ليبلوكم : ليختبركم .

طباقا : طبقة بعد طبقة .

تفاوت : نقص أو اختلاف .

فارجع : فكرر .

فطور : شقوق .

تفور : تغلى .

فسحقا : فبعداً من الرحمة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر عظمة الله تبارك وتعالى فى خلقه .

٢ ـ أن نعلم الغاية من وجودنا وأن نرتفع إلى مستوى حقيقتنا .

٣ ـ أن نتعرف على جهنم فى استقبالها الذين كفروا .

محتوى التربوى :

تعالج السورة إنشاء تصور جديد للوجود ، وعلاقاته بخالق الوجود ، تصور واسع شامل ، يتجاوز عالم الأرض الضيق وحيز الدنيا المحدود، إلى عوالم فى السموات، وإلى حياة فى الآخرة ، وإلى خلائق أخرى غير الإنسان فى عالم الأرض كالجن والطير ، وفى العالم الآخر كجهنم وخزنتها ، وإلى عوالم فى الغيب كما أنها تثير فى حسهم التأمل فيما بين أيديهم ، وفى واقع حياتهم وذواتهم مما يمرون به غافلين .

وتبدأ بهذه التسبيحة التى توحى بزيادة بركة الله ومضاعفتها ، وتمجيد هذه البركة الرابية الفائضة ، وذكر الملك بجوارها يوحى بفيض هذه البركة على هذا الملك ، وتمجيدها فى الكون بعد تمجيدها فى جناب الذات الإلهية ، ترنيمة تتجاوب بها أرجاء الوجود ، ويعمرها بها قلب كل موجود ، وهى تنطلق من النطق الإلهى فى كتابه الكريم ، من الكتاب المكنون إلى الكون المعلوم ،

فالله هو المالك له ، المهيمن عليه ، القابض على ناصيته المتصرف فيه ، وهى حقيقة حين تستقر فى الضمير تجدد له الوجهة والمصير ، وتخليه من التوجه أو الاعتماد أو الطلب من غير المالك المهيمن المتصرف فى هذا الملك بلا شريك ، كما تخليه من العبودية والعبادة لغير المالك الواحد الذى لا يعجزه شىء ، ولا يفوته شىء ، ولا يحول دون إرادته شىء .

ومن آثار تمكنه المطلق من الملك وتصريفه له ، وآثار قدرته على كل شىء وطلاقة إرادته أنه خلق الموت من خلق الله ، وليست المسألة مصادفة بلا تدبير ، وليست كذلك جزافا بلا غاية ، إنما هو الابتلاء لإظهار المكنون فى علم الله من سلوك الأناسى على الأرض ، واستحقاقهم للجزاء على العمل ، واستقرار هذه الحقيقة فى الضمير يدعه أبداً يقظاً حذراً متلفتا واعيا للصغيرة والكبيرة فى النية المستسرة والعمل الظاهر ، ولا يدعه يغفل أو يلهو ، كذلك لا يدعه يطمئن أو يستريح ، وتسكب الطمأنينة فى القلب فالله عزيز غالب ولكنه غفور مسامح .

والقرآن يوجه النظر إلى خلق الله فى السموات بصفة خاصة ، وفى كل ما خلق بصفة عامة ، يوجه النظر إلى خلق الله وهو يتحدى بكماله كمالا يرد البصر عاجزاً كليلا مبهوراً مدهوشا ، فليس هناك خلل ولا نقص ولا اضطراب ، وانظر مرة أخرى للتأكد والتثبت ، فهل وقع نظرك على شق أو صدع أو خلل ؟ وربما فاتك شىء فى النظرة السابقة لم تتبينها ، فأعد النظر ثم أعده ، فلن يرجع إلا ذليلا صاغرا وهو كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصا .

يقول صاحب الظلال : « وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة هى التى يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها ، فبلادة الألفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق، الذى لا تشبع العين من تملى جماله وروعته ، ولا يشبع القلب من تلقى إيحاءاته وإيماءاته ، ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته ، والذى يعيش منه من يتأمله بهذه العين فى مهرجان إلهى باهر رائع ، لا تخلق بدائعه ؛ لأنها أبداً متجددة للعين والقلب والعقل ... ومن نعمة الله على البشر أن أودعهم القدرة على التجاوب مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل ، فالقلب يتلقى إيقاعات هذا الكون الهائل الجميل تلقيا مباشراً حين يتفتح ويستشرف ، ثم يتجاوب مع هذه الإيقاعات تجاوب الحى مع الحى ، قبل أن يعلم بفكره وبأرصاده شيئا عن هذا الخلق الهائل العجيب ، ومن ثم يكل القرآن الناس إلى النظر فى هذا الكون ، وإلى تملى مشاهده وعجائبه » .

ومن ثم يوجه القرآن النظر إلى جمال السموات بعد أن وجه النظر إلى كمالها ، وما السماء الدنيا ؟ لعلها هى الأقرب إلى الأرض وسكانها المخاطبين بهذا القرآن ، ولعل المصابيح المشار إليها هى النجوم والكواكب الظاهرة للعين التى نراها حين ننظر إلى السماء ، فذلك يتسق مع توجيه المخاطبين إلى النظر فى السماء ، وما كانوا يملكون إلا عيونهم ،و ما تراه من أجرام مضيئة تزين السماء ، ويذكر النص القرآنى أن هذه المصابيح التى زين الله السماء الدنيا هى كذلك ذات

وظيفة أخرى ، فقد جعلها الله رجوما للشياطين فى صورة شهب ، وكيف ؟ من أى حجم ؟ فى أية صورة ؟ كل ذلك لم يقل الله لنا عنه شيئا ، فلنعلم هذا وحده ولنؤمن بوقوعه . ثم يستطرد فيما أعده الله للشياطين غير الرجوم، فالرجوم فى الدنيا وعذاب السعير فى الآخرة لأولئك الشياطين، ولما ذكر ما أعد للشياطين من عذاب السعير ذكر بعده ما أعده للذين كفروا من أتباع هؤلاء الشياطين ، ثم يرسم مشهداً لجهنم هذه ، وهى تستقبل الذين كفروا فى غيظ وحنق شديد ، وجهنم هنا مخلوقة حية ، تكظم غيظها ، فترتفع أنفاسها فى شهيق وتفور ؛ ويملأ جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم وهى تنطوى على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين .

والتعبير يقرر حقيقة إيمان الوجود كله بخالقه ، وتسبيح كل شىء بحمده ، ودهشة الخلائق وارتياعها لشذوذ الإنسان حين يكفر ، ويشذ عن هذا الموكب وتحفز هذه الخلائق للانقضاض على الإنسان فى غيظ وحنق ، كالذى يطعن فى عزيز عليه كريم على نفسه ، فيغتاظ ويحنق ، ويكاد من الغيظ يتمزق ، كما هو حال جهنم وهى تغلى ، ويكاد ينفصل بعضها عن بعض ، كذلك نلمح هذه الظاهرة فى خزنة جهنم ، فيأتى سؤالهم للتأنيب والترذيل ، وهى مشاركة لجهنم فى الغيظ والحنق ، ويأتى الجواب فى ذلة وانكسار ، وندموا حيث لا تنفع الندامة وقالوا : فلو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع بها ما أنزل الله من الخلق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ، واعترفوا بذنبهم فى الموقف الذى لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بوقوعه ، والدعاء من الله قضاء ، فهم مبعدون من رحمته ، لا رجاء لهم فى مغفرة ، ولا إقالة لهم من عذاب ، وهم أصحاب السعير الملازمون له ، ويا لها من صحبة ، ويا له من مصير .

والمألوف فى سياق القرآن أن يعرض صفحتين متقابلتين فى مشاهد القيامة ، فيعرض صفحة المؤمنين فى مقابل صفحة الكافرين ، فمن خاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس ، فينكفّ عن المعاصى ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله ـ فله مغفرة وأجر كبير ، فيكفر عنه ذنوبه ، ويجازى بالثواب الجزيل .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ ضرورة التفكر فى قدرة الله ـ تعالى ـ التى تظهر آثارها فى خلق السموات والأرض ؛ لتزداد إيمانا بعظمته .

٢ ـ الحكمة من وراء الموت والحياة اختبار الإنسان فى هذه الدنيا ليتميز أهل الخير من أهل الشر .

٣ ـ يندم الكافرون وأهل المعاصى فى الآخرة عندما يرون العذاب حيث لا ينفع الندم .

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
٥٦٣

معانى الكلمات :

أسروا : أخفوا .

اجهروا به : أظهروه .

ذلولا : سهلة تستقرون عليها .

مناكبها : نواحيها المختلفة .

تمور : تهتز اهتزازا شديدا .

لجوا : أصروا على العصيان .

عتو : استكبار .

مكبا على وجهه : منكسا رأسه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم نعمة الله على خلقه فى تسخير الأرض وتذليلها لهم .

٢ ـ أن نستشعر خطورة الأمان الذى يوحى بالغفلة عن الله وقدرته وقدره .

٣ ـ أن نعلم بعض الأدلة الناطقة بعظمة الله وقدرته .

تفسير الآيات :

فى تقرير علم الله بالسر والجهر ، يتحدى البشر وهو الذى خلق نفوسهم ، ويعلم مداخلها ومكامنها التى أودعها إياها ، فأسروا أو اجهروا فى قولكم فهو مكشوف لعلم الله سواء ، وهو يعلم ما هو أخفى من الجهر والسر ، بما يخطر فى القلوب ، ألا يعلم الخالق وهو الذى خلق ويصل علمه إلى الدقيق الصغير والخفى المستور .

ثم ينتقل السياق إلى الأرض التى خلقها لهم وذللها وأودعها أسباب الحياة ، والناس لطول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض ، وسهولة استقرارهم عليها ، وسيرهم فيها ، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقوامها وأرزاقها جميعا ، ينسون نعمة الله فى تذليلها لهم

وتسخيرها ، والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة ، ويبصرهم بها ، فى هذا التعبير الذى يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول وقد جعل الله الأرض قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئا ، إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال : ﴿ وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل ،و إلى الله المرجع ، وإلا فإلى أين إن لم يكن إليه ؟ والملك بيده ؟ ولا ملجأ منه إلا إليه ؟ وهو على كل شىء قدير ؟

وبينما هم فى هذا الأمان على ظهر الأرض الذلول ، وفى هذا اليسر الفائض بإذن الله وأمره ، الآن يهز هذه الأرض الساكنة من تحت أقدامهم هزاً ، ويرجها رجا فإذا هى تمور ، ويثير الجو من حولهم فإذا هو حاصب يضرب الوجوه والصدور ، يهز هذه الأرض فى حسهم ويثير هذا الحاصب فى تصورهم ؛ لينتبهوا من غفلة الأمان والقرار ، ويمدوا بأبصارهم إلى السماء وإلى الغيب ، ويعلقوا قلوبهم بقدر الله ، والبشر الذين يعيشون على ظهر هذه الدابة الذلول ، ويحلبونها فينالون من رزق الله فيها نصيبهم المعلوم ، يعرفون كيف تتحول إلى دابة غير ذلول ولا حلوب فى بعض الأحيان ، عندما يأذن الله بأن تضطرب قليلا ، فيرتج كل شىء على فوق ظهرها أو يتحطم ، ويمور كل ما عليها ويضطرب فلا تمسكه قوة ولا حيلة ، ذلك عند الزلازل والبراكين ، التى تكشف عن الوحش الجامح ، الكامن فى الدابة الذلول ، التى يمسك الله بزمامها فلا تثور إلا بقدر ، ولا تجمح إلا ثوانى معدودات يتحطم فيها كل ما شيد الإنسان على ظهرها .

والقرآن يذكر البشر الذين يخدعهم سكون الدابة وسلامة مقادتها ، ويغريهم الأمان بنسيان خالقها ومروضها ، يذكرهم بهذه الجمحات التى لا يملكون من أمرها شيئا ، والأرض الثابتة تحت أقدامهم ترتج وتمور ، يحذرهم وينذرهم فى تهديد يرج الأعصاب ويخلخل المفاصل ، ويضرب لهم الأمثلة من واقع البشرية ، ومن وقائع الغابرين المكذبين ، ولقد أنكر الله ممن كذبوا قبلهم أن يكذبوا وهو يسأل كيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم ؟ وقد كانت آثار الدمار والخراب تصف لهم كيف هذا النكير ، وكيف كان ما أعقبه من تدمير .

بعدئذ ينتقل بهم من لمسة التهديد والنذير ، إلى لمسة التأمل والتفكير ، فى مشهد يرونه كثيراً ، ولا يتدبرونه إلا قليلا ، وهو مظهر من مظاهر القدرة ، وأثر من آثار التدبير الإلهى اللطيف ، فتأمل هذا الطير ، وهو يصف جناحيه ويفردهما ، ثم يقبضهما ويضمهما ، وهو فى الحالتين : حالة الصف الغالبة ، وحالة القبض العارضة يظل فى الهواء ، يسبح فيه سباحة فى يسر وسهولة ، ويأتى بحركات يخيل إلى الناظر أحيانا أنها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع ، والقرآن يشير بالنظر إلى هذا المشهد المثير ، ثم يوحى بما وراءه من التدبير والتقدير ،

والرحمن يمسكهن بقدرته القادرة التى لا تكل ، وعنايته الحاضرة التى لا تغيب ،بهذا التعبير المباشر الذى يشى بيد الرحمن تمسك بكل طائر وبكل جناح ، والطائر صاف جناحيه ، وحين يقبض وهو معلق فى الفضاء ، والله يبصره ويراه ، ويبصر أمره ويخبره .

ثم يلمس قلوبهم لمسة أخرى ، فيقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره ، يبتغون عندهم نصراً ورزقا ، منكراً عليهم فيما اعتقدوه ، ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه ، وليس لهم من دونه من ولى ولا واق ، ولا ناصر لهم غيره ، ويقول سبحانه : من هذا الذى إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟ ! فلا أحد يعطى ويمنع ، ويخلق ويرزق وينصر إلا الله ـ عز وجل ـ وحده لا شريك له وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ، واستمروا فى طغيانهم وإفكهم وضلالهم معاندة واستكباراً ونفوراً على أدبارهم عن الحق ، لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ولقد كانوا مع هذا ـ يتهمون النبى ﷺ ومن معه بالضلال ، ويزعمون لأنفسهم أنهم أهدى سبلا ، كما يضع أمثالهم مع الدعاة إلى الله فى كل زمان ، ومن ثم يصور لهم واقع حالهم وحال المؤمنين فى مشهد حى يحسم حقيقة الحال ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه ، يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه ، لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب ، بل تائه حائر ضال ، والمؤمن السعيد المجدود المهتدى إلى الله ، الممتع بهداه ، الذى سير على طريق واضح بين ، وهو فى نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة ، فأيهما أهدى ؟ وهل الأمر فى حاجة إلى جواب .

وعلى ذكر الهدى والضلال ، يذكرهم بما وهبهم الله من وسائل الهدى ، وأدوات الإدراك ثم لم ينتفعوا بها ، ولم يكونوا من الشاكرين ، والقرآن يذكر حقيقة أن الله هو الذى أنشأ الإنسان ويذكر بجانبها ما زود الله به الإنسان من وسائل المعرفة ، وما قابل الإنسان به هذا بالنعمة : نعمة الإنشاء ونعمة السمع والأبصار والأفئدة ، وعلى هذه الهبات الضخمة التى أعطيها الإنسان لينهض بتلك الأمانة الكبرى ، فإنه لم يشكر ، وهو أمر يثير الخجل والحياء عند التذكير به ، والله ـ عز وجل ـ هو الذى بث ونشر ، وليتذكر البشر وهم منتشرون فى الأرض أن هناك غاية هم صائرون إليها هى الجمع والحشر ، ويحكى شكهم فى هذا الحشر ، فيقولون : متى يقع هذا الذى تخبرنا به ، ويأتى الجواب بأنه لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ، ولكنه أمرنى أنى أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة ، فمهمتى الإنذار والبيان ، أما العلم فعند صاحب العلم الواحد بلا شريك .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا:

١ ـ المؤمن يسعى لطلب الرزق آخذا بالأسباب،معتمدا على الله ـ تعالى ـ عالما أنه هو الرازق.

٢ ـ المؤمن يطمئن إلى ربه ويرجو رحمته وفضله .

٣ ـ فى الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حى وعقل يعقل به .

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ ٱلْقَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

الحزب ٥٧

٥٦٤

معانى الكلمات :

زلفة : قريبا منهم .

سيئت : كتبت واسودت غما وذلا .

تدعون : تطلبون أن يعجل لكم استهزاء .

يجير : ينجى .

بماء معين : ظاهر جارٍ .

ممنون : مقطوع .

المفتون : المجنون .

تدهن : تصانع .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حقيقة القدرة المطلقة ، وحقيقة الهيمنة المطلقة .

٢ ـ أن نتعرف على شىء من عروض المشركين على النبى ﷺ للالتقاء فى منتصف الطريق .

٣ ـ أن نستشعر قيمة العنصر الأخلاقى فى ميزان الله تعالى .

المحتوى التربوى :

بينما يسأل الكفار فى شك ويجابون فى جزم ، يخيل السياق القرآنى كأن هذا اليوم الذى يسألون عنه قد جاء ، والموعد الذى يشكون فيه قد حان ، وكأنما هم واجهوه الآن ، فكان فيه ما كان ، فقد رأوه قريبا مواجها لهم حاضراً أمامهم دون توقع ودون تمهيد ، فسيئت وجوههم ، وبدا فيها الاستياء ، ووجه إليهم التأنيب ، فهذا اليوم حاضر قريب ، وهو الذى كنتم تدعون أنه لن يكون .

ولقد كانوا يتربصون بالنبى ﷺ والحفنة المؤمنة التى معه أن يهلكوا فيستريحوا منهم ، وكانوا يتواصون بينهم بالصبر عليه حتى يوافيه الأجل ، وهنا أمام مشهد الحشر والجزاء يأتى سؤال يردهم إلى تدبر حالهم ، والتفكير فى شأنهم وهو الأولى ، فما ينفعهم أن تتحقق أمانيهم فيهلك الله النبى ومن معه ، كما لا ينقذهم بطبيعة الحال أن يرحم الله نبيه ومن معه ، والله باق لا يموت وهو

الذى ذرأهم فى الأرض وإليه تحشرون ، ولكنه لا يقول لهم : فمن يجيركم من عذاب أليم ؟ ولا ينص على أنهم كافرون ، إنما يلوح لهم بالعذاب الذى ينتظر الكافرين وهو أسلوب فى الدعوة حكيم ، يخوفهم من ناحية ، ويدع لهم فرصة للتراجع عن موقفهم من ناحية .

ثم يترقى من هذه التسوية بين الأمرين إلى تقرير موقف المؤمنين من ربهم وثقتهم به وتوكلهم عليه ، مع التلميح إلى اطمئنانهم لإيمانهم ، وثقتهم بهداهم ، وبأن الكافرين فى ضلال مبين ، وذكر صفة الرحمن يشير إلى رحمته العميقة الكبيرة برسوله والمؤمنين معه ، فهو لن يهلكهم كما يتمنى الكافرون أو كما يدعون ، ويوجه النبى ﷺ إلى إبراز الصلة التى تربطهم بربهم الرحمن ؛ صلة الإيمان وصلة التوكل ، ويأتى التهديد الذى من شأنه أن يخلخل الإصرار على الجحود ، ويدعوهم إلى مراجعة موقفهم مخافة أن يكونوا هم الضالين ، وأخيراً يلمح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ، وذلك بحرمانهم من سبب الحياة الأول ، وهو الماء ، وهى لمسة قريبة فى حياتهم إن كانوا ما يزالون يستبعدون ذلك اليوم ويشكون فيه ، والملك بيد الله فكيف لو توجهت إرادته إلى حرمانهم مصدر الحياة القريب ، ثم يدعهم يتدبرون ما يكون لو أذن الله بوقوع هذا المحذور .

سورة القلم

يقسم الله ـ سبحانه ، بنون ، وبالقلم ، وبالكتابة ، والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم ، والكتابة ، فأما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها وتوجيه إليها ، فى وسط الأمة التى لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق ، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة ، فى الوقت الذى كان دورها المقدر لها فى علم الله يتطلب نمو هذه المقدرة فيها ، وانتشارها بينها ؛ لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض ، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة ، وما من شك أن الكتابة عنصر أساس فى النهوض بهذه المهمة الكبرى .

ثم يثبت نعمة الله على نبيه ، فى تعبير يوحى بالقربة والمودة حين يضيفه سبحانه إلى ذاته ، وينفى تلك الصفة المفتريات التى لا تجتمع مع نعمة الله على عبد نسبه إليه وقربه واصطفاه ، فكيف تجتمع صفة الجنون مع هذا التكريم العلى ، وإن لعبده ﷺ لأجراً دائما موصولا لا ينقطع ولا ينتهى ، وهو إيناس وتسرية وتعويض فائض غامر عن كل حرمان وعن كل جفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون ، ثم تجىء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم بأنه ﷺ على خلق عظيم ، وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبى الكريم ، ويعجز كل قلم ، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود ، وهى شهادة من الله فى ميزان الله ، لعبد الله ، ومدلول الخلق العظيم هو ما عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين ، وإن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقى فى ميزان الله وفى منهجه الذى جاء به هذا النبى الكريم .

وبعد هذا الثناء الكريم على عبده يطمئنه إلى غده مع المشركين الذين رموه بذلك البهت اللئيم ، ويهددهم بافتضاح أمرهم وانكشاف بطلانهم وضلالهم المبين ، وهذا الوعد من الله يشير